وصيّة الرّاعي

تأليف: نجمة آل درويش رسم: خديجة حسين تدقيق: عين التدقيق

يُحْكَى أَنَّ نَهَارَ ذَاتِ يَوْمٍ انْتَهَى وَحَلَّتْ ظُلْمَةُ اللَّيْلِ عَلَى بُيُوتٍ فَوْقَ جِبَالٍ عَالِيَةٍ فِي قَرْيَةِ النَّجْمَاتِ، تَنَاوَلَت العَائِلَاتُ طَعَامَ العَشَاء، وَذَهَبَ الأَطْفَالُ لِفِرَاشِ النَّوْم، وَطَلَبْنَ مِنْ أُمَّهَاتِهِنَّ أَنْ يَقْصُصْنَ عَلَيْهِنَّ الحِكَايَاتِ.
فِي هَذِهِ القَرْيَةِ الجَمِيلَةِ هُنَاكَ بَيْتٌ مَصْنُوعَةٌ مِن الطُّوبِ الأَحْمَرِ فِيهِ غُرْفَتَانِ لِلنَّوْمِ وَغُرْفَةٌ لِلضُّيُوفِ وَمَطْبَخٌ وَحَمَّام لَا يُوجَدُ حَدِيقَةٌ فِيه. فَالقَرْيَةُ كُلُّهَا بَسَاتِينُ حَتَّى الطَّرِيقُ كُلُّهُ أَشْجَار.
يَسْكُنُ هَذَا المَنْزِلَ رَجُلٌ وَامْرَأَتُهُ وَبِنْتٌ وَحِيدَةٌاسْمُهَا مَرْوَة.
هَا هِيَ الآنَ تَسْمَعُ مِنْ أُمِّهَا حِكَايَةً حَتَّى تَنَامَ.

قَالَت الأُمُّ: كَانَ يَا مَا كَانَ فِي قَدِيمِ الزَّمَان.....
كَانَ هُنَـاكَ رَاعِـي أَغْنَـامٍ اسْـمُهُ أَحْمَـدُ وَلَدَيْـهِ وَلَـدَانِ
الأَوَّلُ اسْـمُهُ عَـلِيٌّ وَالثَّـانِي اسْـمُهُ سُـلَيْمَان.
كَانَ يَأْخُـذُ كُلَّ يَـوْمٍ مِـنْ أَيَّـامِ الأَحَـدِ مَعَـهُ أَحَـدَ الأَبْنَـاءِ
لِيَرْعَـى الأَغْنَـامَ فِي المَرَاعِـي الخَـضْرَاء.

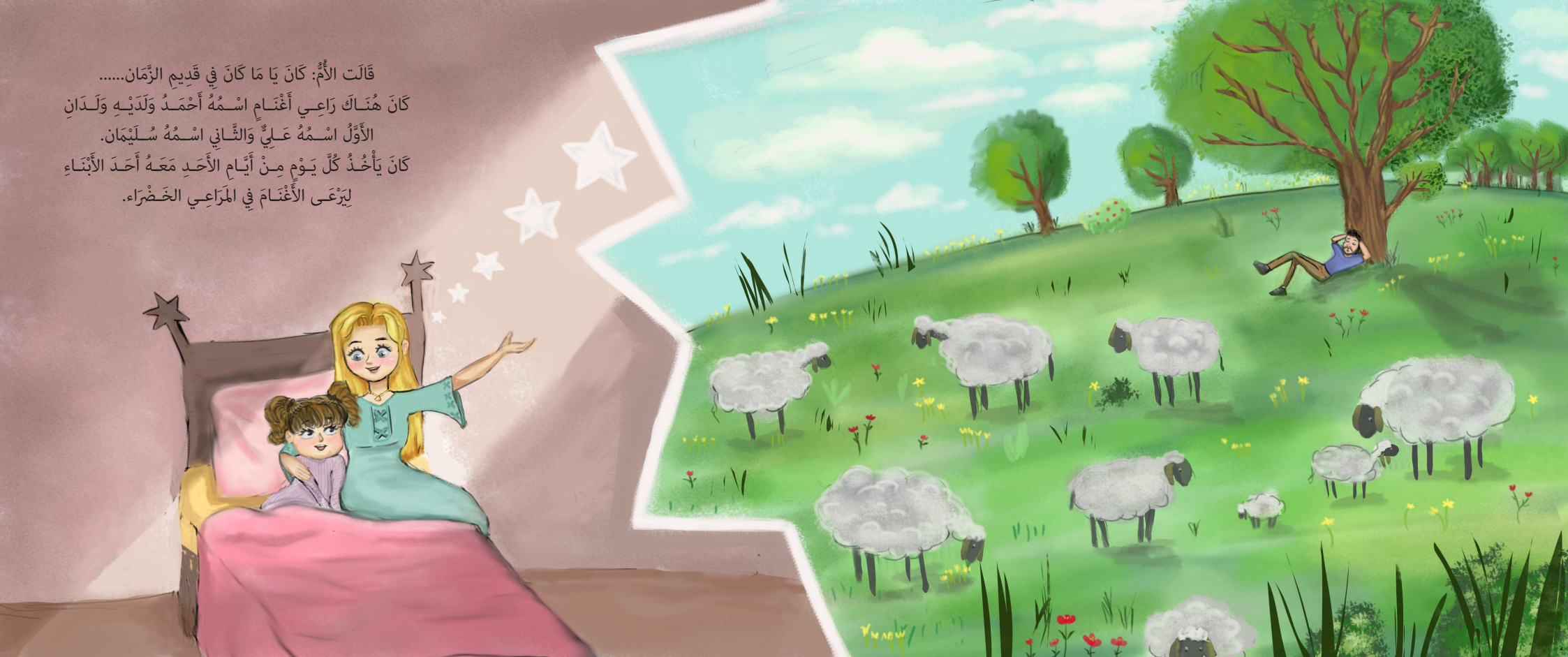

مَـرَّت الأَيَّـامُ وَهُـوَ عَـلَى هَذَا الحَال، حَتَّى تَعْلَّمَا مِـنْ وَالِدِهِمَا الكَثِيرَ مِن الأَشْـيَاء، كَانَ يُوصِيهِمَا كَثِيرًا بِـأَنْ يَكُونَـا طَيِّبَـيْنِ مَـعَ الخِـرَافِ وَيُطْعِمَاهَـا مِـنْ أَجْـوَدِ المَرَاعِي وَيُسْـقِيَاهَا مَـاءً عَذْبًا مِـن الغِدْرَان.
وَكَانَ يُكَرِّرُ وَصِيَّتَهُ هَذِهِ أَكْثَرَ مِنْ كُلِّ وَصِيَّةٍ :
((عِنْدَمَا أَمُوتُ لَا تَفْتَرِقَا كُونَا دَائِمًا أَخَوَيْنِ وَ تَقَاسَمَا الحُبَّ حَتَّى لَا يُفَرِّقَكُمَا المَال))
مَـاتَ الرَّاعِـي وَاسْـتَمَرَّ الاثْنَانِ فِي العَمَـلِ بِرَعْيِ الأَغْنَامِ وَحَفِظَا وَصَايَا وَالِدِهِمَا وَعَاشَـا أَخَوَيْنِ مُحِبَّيْنِ لِبَعْضِهِمَا. حَتَّى جَاءَ يَوْمٌ مِن الأَيَّام ارْتَفَعَ فِيهِ سِعْرُ الخِرَافِ فَوَصَلَتْ قِيمَةُ الخَرُوفِ الوَاحِدِ ١٠٠٠ مِن الأَمْوَال.
فَرِحَ الأَخَوَانِ وَ قَرَّرَا أَنْ يَبِيعَا الخِرَافَ حَتَّى يُصْبِحَا غَنِيَّيْنِ.
اشْـتَرَى التُّجَّـارُ مِنْهُـمَا الخِـرَافَ وَأَصْبَحَـا يُعِـدَّانِ الأَمْـوَالِ وَكُلّ وَاحِـدٍ يَأْخُـذُ قِسْـمَتَهُ بِالتَّسَـاوِي بَيْنَهُـمَا ،إِلَّا أَنَّ الطَّمَـعَ وَالجشَـع جَعَـلَ سُـلَيْمَانَ يَغْضَـبُ كَالـبُرْكَان.
صَرَخَ لَيْسَ عَدْلًا يَا عَلِيُّ أَنْ تَقْسِـمَ المَالَ قِسْـمَين، اجْعَلْهُ ثَلَاثَةَ أَقْسَـام، لِي قِسْـمَانِ وَلَكَ قِسْـمٌ وَاحِد.
صَـاحَ عَـلِيٌّ وَلِـمَاذَا هَـذَا الظُّلْـم يَـا سُـلَيْمَانُ فَنَحْـنُ الاثْنَـانِ كُنَّـا نَعْمَـلُ سَـوِيًا.
رَدَّ عَلَيْـهِ سُـلَيْمَانُ بِصَرْخَـةٍ أَكْـبَرَ أَنَـا كُنْـتُ أَعْمَـلُ٤ أَيَّـامٍ وَأَنْـتَ٣ أَيَّـامٍ فَأَيْـنَ العَـدْلُ الآن؟
قَـالَ عَـلِيٌّ: لَكِنَّـكَ تَعْلَـمُ أَنِّي هَـذَا اليَـوْمَ أَذْهَـبُ مَـع وَالِدَتِنَـا إِلَى السُّـوقِ لِتَشْـتَرِيَ مَـا نَحْتَـاجُ مِـنْ طَعَـامٍ لِلْأَيَّـام.

لَـمْ يَـرُضْ سُـلَيْمَانُ بِهَـذَا الـكَلَام فَقَـالَ إِنْ لَـمْ تُعْطِنِـي القِسْـمَةَ الأَكْـبَرَ سَـوْفَ أَرْمِـي هَـذَا المَـالَ فِي البِـئْرِ لِتَأْكُلَـهُ الدِّيـدَان!!

تَنَـازَلَ عَـلِيٌّ عَـنْ قِسْـمَتِهِ لِأَخِيـهِ سُـلَيْمَانَ وَعَبَـسَ فِي وَجْهِـهِ وَقَـالَ هَـذَا آخِـرُ لِقَـاءٍ بَيْنَنَـا وَالسَّـلَام.

فَـرِحَ سُـلَيْمَانُ وَاشْـتَرَى بِالمَـالِ قَـصْرًا كَبِـيرًا وَمَـلَأَهُ بِالخَـدَمِ وَقَـالَ الآنَ أَرْتَـاحُ فَـلَا أَعْمَـلُ فَلَـدَيَّ مَـا يَكْفِـي لِأَعِيـشَ مَلِـكَ المُلُـوكِ وَالزَّمَـان.

وَعَـلِي هُـوَ الآخَـر اشْـتَرَى بَيْتًـا صَغِـيرًا فِيـهِ بُسْـتَانٌ زَرَعَ فِيـهِ الفَوَاكِـهَ وَالخُضَـارَ وَرَبَّى فِيـهِ بَعْـضَ الحَيْوَانَـات.

وَمَـرَّت الأَيَّـامُ وَ أَفْلَـسَ سُـلَيْمَانُ وَ بَـاعَ قَـصْرَهُ وَكَـثُرَتْ دُيُونُـهُ لِأَنَّـهُ كَانَ عَاطِـلًا عَـنِ العَمَـلِ وَتَرَكَتْـهُ زَوْجَتُـهُ لِأَنَّـهُ لَيْـسَ لَـهُ مَـالٌ وَلَا يُنْجِـبُ الأَطْفَـال.

وَعَلِيٌّ زَادَ مَالُه وَ اشْتَرَى بَسَاتِينَ كَثِيرَةً وَعَاشَ فِي سَعَادَةٍ وَ أَمَانٍ مَعَ زَوْجَتِهِ وَ بِنْتَيْنِ تَوْأَمَيْنِ